ISSN: 3079-062X
مجلة علمية محكّمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alasala.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/aj/index
مجلة الأصالة

أدب الحوار في سورة العنكبوت ـدراسة موضوعية في ضوء تفسير السعدي

أ. أبو بكر عبد الرازق بو بكر الشـــافعي*
قسم تفسير القرآن الكريم بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي
abubaker.a.alshafi@ius.edu.ly

تاريخ الارسال 2026/3/5م تاريخ القبول 2026/5/1

Research Title: The Etiquette of Dialogue in Surah Al-Ankabut: An Objective Study in Light of Tafsir al-Sa'di

Abu Bakr Abdul Razzaq Abu Bakr Al-Shafi'i
Head of the Department of Quranic Interpretation Sayyid Muhammad ibn Ali al-Senussi University

Abstract
This research presents an objective study titled "The Etiquette of Dialogue in Surah Al-Ankabut," providing an analytical interpretive perspective based on the work of Imam al-Sa’di (Taysir al-Karim al-Rahman). The significance of this study lies in the pivotal role of Surah Al-Ankabut in addressing trials and tribulations, and how dialogue is employed as a Shar'i and methodological tool to strengthen the believers and counter misconceptions. The research concludes that Imam al-Sa’di established a set of ethical and academic guidelines for managing dialogue. Most notably: maintaining kindness and gentleness, purifying intentions for the purpose of guidance rather than dominance, and applying the principle of fairness by accepting the truth even from an opponent. Furthermore, the study highlights the Quranic methodology of using parables as illustrative tools to clarify abstract concepts, emphasizing that "arguing in a way that is best" is considered a form of intellectual and verbal Jihad.

Keywords: Etiquette of Dialogue, Surah Al-Ankabut, Tafsir al-Sa'di, Arguing in the Best Manner.

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC

الملخـــص:

يتناول هذا البحث دراسة موضوعية لـ "أدب الحوار في سورة العنكبوت" من خلال رؤية تفسيرية تحليلية في ضوء تفسير الإمام السعدي (تيسير الكريم الرحمن). تبرز أهمية الدراسة من خلال محورية سورة العنكبوت في معالجة الفتن والابتلاءات، وكيفية استخدام الحوار كأداة شرعية ومنهجية لتثبيت المؤمنين ومواجهة الشبهات، وقد خلص البحث إلى أن الإمام السعدي وضع حزمة من الضوابط الأخلاقية والعلمية لإدارة الحوار؛ أبرزها: الالتزام باللين والرفق، وتجريد النية للهداية لا للمغالبة، وإعمال مبدأ الإنصاف بقبول الحق حتى من المخالف. كما كشف البحث عن منهجية القرآن في استخدام الأمثال كأداة إيضاحية لتقريب المعاني، واعتبار الجدال بالتي هي أحسن نوعاً من أنواع الجهاد العلمي واللساني.

الكلمات المفتاحية: أدب ، الحوار، سورة العنكبوت، تفسير السعدي، الجدال

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان، وجعله هدايةً للمتقين وحجةً على العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله داعياً ومحاوراً بالتي هي أحسن، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

تعد سورة العنكبوت من السور التي وضعت منهجاً متكاملاً للتعامل مع الفتن والابتلاءات، ولم يكن هذا المنهج مقتصرًا على الصبر الذاتي، بل شمل "أدب الحوار" مع النفس، ومع المخالف، ومع المنافق. ويبرز تفسير الإمام السعدي "تيسير الكريم الرحمن" كأحد أهم التفاسير التي اعتنت باستخلاص المقاصد التربوية والقواعد الحوارية بعبارة جزلة وواضحة، مما يجعل دراسة سورة العنكبوت من خلاله رافداً مهماً لمنهجية الحوار الإسلامي المعاصر.

أهمية البحث:

1-تبرز أهمية البحث في تقديم "منهجية إسلامية أصيلة" للحوار في عصرٍ تزايدت فيه الشبهات والفتن، مستلهماً من سورة العنكبوت أدوات فكرية لمواجهة التحديات الثقافية والرقمية الحديثة.

2-يسلط البحث الضوء على براعة الإمام السعدي في تحويل الآيات التفسيرية إلى "قواعد تربوية وعملية"، مما يفيد الباحثين والدعاة في فهم كيفية استنباط آداب الحوار من النص القرآني مباشرة بأسلوب ميسّر.

3-تكمن الأهمية في إيضاح أن "أدب الحـــوار" في الإسلام ليس مجرد مهارة تواصلية، بل هو عبادة وجهاد باللسان يرتكز على قيم عقدية ثابتة (كالثبات عند الابتلاء والصبر على المخالف) التي فصلتها السورة.

مشكلة البحث:

تكمن المشكلة في الحاجة إلى إبراز القواعد الحوارية التي تضمنتها سورة العنكبوت، وكيف استطاع الشيخ السعدي من خلال تفسيره تفكيك مغالطات الخصوم (المشركين وأهل الكتاب) وتثبيت قلوب المؤمنين، وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

ـ ما هي مرتكزات أدب الحوار عند الشيخ السعدي في تفسيره؟

ـ كيف عالج الحوار القرآني الشبهات المثارة حول الإيمان والابتلاء؟

ـ ما هي الضوابط الأخلاقية والعلمية التي وضعها السعدي للمجادلة مع المخالفين؟

أهداف البحث:

1ـ التأصيل الشرعي لأدب الحوار انطلاقاً من الآيات القرآنية.

2ـ إبراز القيمة العلمية والتربوية لتفسير الشيخ السعدي في جانب "أدب الحوار".

3ـ استنباط القواعد العملية للحوار من قصص الأنبياء (نوح، إبراهيم، لوط) الواردة في السورة.

المنهج المتبع

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي؛ وذلك من خلال وصف المنهج الحواري في السورة، وتحليل نصوص الشيخ السعدي، واستنباط القواعد التربوية والحوارية منها.

خامساً: خطة البحث:

وفيها مبحثان وخاتمة:

المبحث الأول : تعريف بالإمام السعدي وتفسيره ، المطلب الأول: التعريف بالإمام السعدي، حياته، ومكانته العلمية. والمطلب الثاني: التعريف بتفسير "تيسير الكريم الرحمن" ومنهجه العام. والمطلب الثالث: مفهوم الحوار في اللغة والاصطلاح، ومكانة الحوار في القرآن الكريم وغاياته. المبحث الثاني: القواعد التطبيقية لأدب الحوار في سورة العنكبوت ، المطلب الأول: الآداب الأخلاقية والنفسية للمحاور ، المطلب الثاني: القواعد العلمية والمنهجية في إدارة الحوار المطلب الثالث: الوسائل الإيضاحية والآثار التربوية للحوار ، وفي خاتمة البحث تتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث.

المبحث الأول ـ التعريف بالإمام السعدي وتفســـــــيره :

المطلب الأول ــ التعريف بالإمام السعدي، حياته، ومكانته العلمية:

1. المولد والنشأة والبيئة الأسرية:

هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي، من آل غنيم من قبيلة تميم. ولد في مدينة عنيزة بالقصيم عام 1307هـ. امتحنه الله باليتم في ريعان صباه؛ إذ توفيت والدته وهو في الرابعة، ولحق بها والده وهو في السابعة، فكفله شقيقه الأكبر (حمد) ثم زوجة والده التي أحسنت تربيته. برز ذكاؤه الوقاد منذ صغره، فأتم حفظ القرآن الكريم حفظاً وإتقاناً وهو في الحادية عشرة من عمره، مما جعله محط إعجاب علماء بلده الذين توسموا فيه الخير والصدارة[1].

2. الرحلة العلمية وشيوخه:

لم يرحل الشيخ السعدي خارج نجد طلباً للعلم، بل اكتفى بعلماء بلده والوافدين إليها، وكان يرى أن "الاستعداد النفسي أهم من كثرة الشيوخ"، وقد تلقى العلم على عدد من الشيوخ، ومن أبرزهم:

1. الشيخ صالح بن عثمان القاضي (قاضي عنيزة): لازمه ملازمة تامة وقرأ عليه في التوحيد، والتفسير، والفقه (أصوله وفروعه)، وعلوم العربية، وهو أكثر من قرأ عليه.
2. الشيخ علي الناصر أبو وادي: قرأ عليه في الحديث وأخذ عنه الأمهات الست وأجازه في ذلك.
3. الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر: وهو أول من قرأ عليه.
4. الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل: قرأ عليه في الفقه وعلوم العربية وغيره.
5. الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (نزيل الحجاز قديماً ثم الزبير): قرأ عليه في التفسير والحديث وعلوم العربية كالنحو والصرف لما قدم عنيزة.
6. الشيخ محمد بن عبد العزيز المحمد المانع (مدير المعارف في المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت): قرأ عليه في عنيزة[2].

3. التدريس وتخريج الأجيال:

بدأ السعدي التدريس وهو في الثالثة والعشرين، وكان منهجه يقوم على الحوار والمناقشة لا التلقين المجرد. وفي عام 1350هـ، أُسندت إليه رئاسة التدريس في الجامع الكبير بعنيزة، فصار معول الطلاب ومرجعهم. لم يكن يكتفي بإلقاء الدروس، بل كان يشارك طلابه في نزهاتهم العلمية ويناقشهم بتبسط وتواضع. تخرج على يديه علماء كان لهم أثر بالغ في العالم الإسلامي، ومن أشهر تلاميذه:

1. الشيخ محمد بن صالح العثيمين: وهو أشهر تلاميذه وأكثرهم تأثراً بشيخه في طريقة التدريس وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني.
2. الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام: تولى منصب القضاء بمحكمة الطائف، وعُيّن عضواً في هيئة تمييز الأحكام الشرعية بالمنطقة الغربية بمكة المكرمة.
3. الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل: من كبار تلاميذه، ورئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية سابقا[3].

4. المنهج العلمي والتحرر من التقليد:

تعد نقطة التحول الكبرى في حياة السعدي هي انكبابه على تراث شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم. وبسبب ذلك، تحرر من قيود التقليد المذهبي (الحنبلي) إلى سعة الدليل الشرعي. كان يقول: "الحق ضالة المؤمن، حيث وجده أخذه". وقد تميز منهجه بالسهولة والوضوح، والبعد عن التعقيدات المنطقية والكلامية، مع التركيز على استنباط الفوائد التربوية والاجتماعية من النصوص، وهو ما يتجلى بوضوح في تفسيره "تيسير الكريم الرحمن[4]".

5. الخصائص الشخصية والمكانة الاجتماعية:

كان الشيخ السعدي نموذجاً للعالم المصلح؛ فقد كان يتميز بحسن الخلق، والتواضع الشديد مع الصغير والكبير، والزهد في مظاهر الدنيا. كان يبذل نفسه في قضاء حوائج الناس، والإصلاح بين المتخاصمين، وتوجيه النصح للحكام والمحكومين بأسلوب رقيق. كما كان له اهتمام بالثقافة الحديثة، فكان يقرأ المجلات العلمية والصحف ويتابع ما يستجد من مخترعات ليفتي فيها بعلم وبصيرة، وهو ما أكسبه احترام كافة طبقات المجتمع[5].

وقد أثنى عليه جمع من العلماء:

فقد قال المؤرخ العلامة عبد الله آل بسام: "أثنى عليه العلماء بأنه العلامة المفسر، المحدث، الفقيه، الأصولي، النحوي"[6].

وقال العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ -في بداية ترجمة السعدي: "هو العلامة الورع الزاهد تذكرة السلف"[7].

وقال الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز في الثناء على السعدي: "وكان قليل الكلام، إلا فيما تترتب عليه فائدة، جالسته غير مرة في مكة والرياض، وكان كلامه قليلًا إلا في مسائل العلم، وكان متواضعًا، حسن الخلق، ومن قرأ كتبه عرف فضله وعلمه، وعنايته بالدليل"[8].

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين: "... إن الرجل قل أن يوجد مثله في عصره في عبادته وعلمه وأخلاقه... وكان صبورًا على ما يلم به من أذى الناس"[9].

6. نتاجه العلمي ووفاته:

خلف السعدي مكتبة ضخمة من المؤلفات التي طارت بها الركبان، من أهمها: "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، و"القواعد الحسان لتفسير القرآن"، و"بهجة قلوب الأبرار"، و"منهج السالكين"، وفي عام 1371هـ بدأت المتاعب الصحية تلاحقه (مرض ضغط الدم)، فصبر واحتسب وظل يكتب ويدرس حتى توفي قبيل فجر يوم الخميس 22 جمادى الآخرة 1376هـ بمدينة عنيزة، وصُلي عليه في جامعها الكبير الذي قضى فيه عمره معلماً ومربياً[10].

المطلب الثاني ـ التعريف بتفسير "تيسير الكريم الرحمن" ومنهجه العام:

1. التعريف بالكتاب: يُعد كتاب "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" الثمرة الكبرى لجهود الإمام السعدي العلمية، وقد أتم تأليفه في عام 1344هـ وهو في ريعان شبابه العلمي (37 عاماً). يقع التفسير في الأصل في سبعة مجلدات، ولكنه طُبع لاحقاً في مجلد واحد ضخم لتسهيل تداوله. وبالرغم من حجمه، يُصنفه المحققون ضمن "التفاسير المختصرة" بالنظر إلى تركيزه على المعنى الإجمالي، وابتعاده عن الحشو اللغوي أو النحوي المعقد[11].

2. المقصد التأليفي والسمات الأسلوبية: اتسم منهج السعدي في هذا التفسير بالوضوح التام وسهولة العبارة؛ إذ كان هدفه صياغة تفسير "تربوي ودعوي" يتناسب مع عامة المثقفين وطلاب العلم على حد سواء. وقد أعلن في مقدمته صراحةً أنه لم يقصد "حل الألفاظ والعقود" أو الغوص في دقائق اللغة التي كفاه إياها من سبقه، بل انصب اهتمامه على استجلاء مراد الله من الآيات وربطها بالواقع الإيماني والعملي للقارئ، بعبارة عصرية جزلة بعيدة عن الغموض[12].

3. خاصية التكرار وتدبر القرآن: انفرد السعدي بمنهج فريد، وهو عدم الإحالة إلى مواضع سابقة عند تناول الآيات المتشابهة؛ بل كان يذكر ما يفتحه الله عليه من معانٍ في كل موضع بجدة واستقلال. وبرر ذلك بأن القرآن "مثاني" يُكرر القصص والأحكام لحكم عظيمة، وأن تكرار المعاني بأساليب مختلفة يزيد من رسوخ العلم في قلب المؤمن، ويحفز على تدبر الكتاب في كل مواضعه دون كسل أو اتكال على ما سبق ذكره[13].

4. الموقف الصارم من الإسرائيليات:

يُعد تفسير السعدي من أنقى التفاسير من الروايات الإسرائيلية والمشاغبات الذهنية؛ فقد كان للشيخ موقف نقدي حازم تجاه إقحام أخبار أهل الكتاب في تفسير القرآن، معتبراً ذلك نوعاً من الاستدراك على "أحسن القصص" الذي اكتمل في كتاب الله. كما حرص على تجنب الاستطرادات العلمية في الفقه أو النحو أو التاريخ التي قد تشغل القارئ عن مقصد الهداية، فكان يقتصر على المعلومة التي تخدم فهم السياق القرآني فقط[14].

5. المنهج التحليلي والاستنباطي:

لم يكن السعدي مجرد ناقل للأقوال، بل كان "مستنبطاً" من الطراز الأول؛ فكثيراً ما يختم السور أو القصص بفقرة تحت عنوان "فوائد مستنبطة"، يعصر فيها معاني الآيات ليخرج منها بقواعد إيمانية، وأصول تربوية، وقواعد حوارية (وهي محور هذا البحث)، مما يجعل تفسيره مدرسة في كيفية استنطاق النص القرآني لاستخراج حلول لمشكلات العصر[15].

المبحث الثانـــــي ـ القواعد التطبيقية لأدب الحوار من خلال تفسير السعدي:

المطلب الأول ـ الآداب النفسية والأخلاقية للمحاور:

1. النص الأول ـ في سمات خطاب المحاور (تفسير الآية 46)

قال السعدي في تفســـير الآية: ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾: "أن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الباطل وتهجينه بأقرب طريق موصل لذلك"[16]. وقال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: (وَلا تُجَادِلُوا) أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى، وهم (أَهْلَ الكِتابِ إلا بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول: إلا بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حُججه."[17] ، وقال القرطبي: "اختلف العلماء في قوله تعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب» فقال مجاهد: هي محكمة فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله عز وجل، والتنبيه على حججه وآياته، رجاء إجابتهم إلى الإيمان، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة. وقوله على هذا: «إلا الذين ظلموا منهم» معناه ظلموكم، وإلا فكلهم ظلمة على الإطلاق. وقيل: المعنى لا تجادلوا من آمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب المؤمنين كعبد الله ابن سلام ومن آمن معه. (إلا بالتي هي أحسن) أي بالموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك. وقوله على هذا التأويل: «إلا الذين ظلموا» يريد به من بقي على كفره منهم، كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم. والآية على هذا أيضا محكمة. وقيل: هذه الآية منسوخة بآية القتال قوله تعالى: «قاتلوا

الذين لا يؤمنون بالله». قال قتادة: «إلا الذين ظلموا» أي جعلوا لله ولدا، وقالوا: «يد الله مغلولة» و «إن الله فقير» فهؤلاء المشركون [الذين نصبوا الحرب ولم يؤدوا الجزية] الجزية فانتصروا [منهم]. قال النحاس وغيره: من قال هي منسوخة احتج بأن الآية مكية، ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض، ولا طلب جزية، ولا غير ذلك. وقول مجاهد حسن، لأن أحكام الله عز وجل لا يقال فيها إنها منسوخة إلا بخبر يقطع العذر، أو حجة من معقول. واختار هذا القول ابن العربي. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: وقوله «إلا الذين ظلموا منهم» معناه إلا الذين نصبوا للمؤمنين الحرب فجدالهم بالسيف حتى يؤمنوا، أو يعطوا الجزية"[18].

ويتسق منهج السعدي مع الطبري والقرطبي في التأكيد على سمات "اللين والقول الجميل" كأصل في الحوار، غير أن القرطبي زاد تفاصيل دقيقة لم يذكرها السعدي؛ كالتفصيل في طبيعة المحاورين (مؤمنهم وكافرهم) وأدوات الحوار بالحجج والبراهين، مما جعل أقواله متممة وموافقة لتأصيل السعدي الأخلاقي في تغليب الإحسان على المخاشنة.

2. النص الثانـــــي ـ في إخلاص النية في الحوار (تفسير الآية 46):

قال السعدي في تفسير الآية:﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾: "ألا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق"[19]. وقال برهان الدين البقاعي: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب﴾ أي اليهود والنصارى ظنًا منكم أن الجدال ينفع الدين، أو يزيد في اليقين، أو يرد أحدًا عن ضلال مبين ﴿إلا بالتي﴾ أي بالمجادلة التي ﴿هي أحسن﴾ أي بتلاوة الوحي الذي أمرنا راس العابدين بإدامة تلاوته فقط[20] ، وقال ابن العثيمين: "فالمجادَلَةُ لإثباتِ الحقِّ وإبطالِ الباطلِ واجبةٌ لكنْ بشَرْطِ أن يَكُونَ عند الإنسانِ عِلْمٌ بما يُجادِلُ به، فإن لم يَكُنْ له عِلْمٌ فالواجبُ أَلَّا يُجادِلَ؛ لأنَّه إذا جادل لإثباتِ الحقِّ بدون عِلْمٍ فقد تَنْعَكِسُ القضيَّةُ عليه، يُورَدُ عليه من الشُّبُهاتِ ما لا يستطيعُ دَفْعُه، وحينئذٍ ينقطعُ وانقطاعُ المجادِلِ بالحقِّ ليس ضررُه على نفْسِه، بل هو على نفْسِه وعلى الحقِّ الَّذي يجادِلُ من أجْلِ إثباتِهِ. فالجدال المنهي عنه هو جدالُ المِراءِ الَّذي يُقْصَدُ به المُغالَبَةُ، أمَّا الَّذي يُقْصَدُ به إثباتُ الحقِّ فواجبٌ[21].

ويتضح من خلال هذه النصوص تكامل الرؤية التفسيرية حول "إخلاص النية" كركيزة نفسية للمحاور؛ حيث وضع السعدي الضابط الأخلاقي بالتجرد من حب العلو والمغالبة، وهو ما عززه البقاعي بالتنبيه على ضرورة تصحيح الظن في جدوى الجدال المجرد، بينما أضاف ابن العثيمين تفصيلاً دقيقاً بربط النية الصادقة بـ "الأهلية العلمية"،

محذراً من أن الجدال بغير علم -وإن حسنت نية صاحبه-قد يؤول إلى الإضرار بالحق لا نصرته، مما يجعل إخلاص القصد مقترناً بسلامة الوسيلة.

المطلب الثاني ـ القواعد العلمية والمنهجية في المجادلة:

3. النص الثالث ـ قاعدة الإنصاف المعرفي (تفسير الآية 46)

قال السعدي في تفسير الآية:﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾: "فإن الواجب أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافراً""[22]. قال البغوي: "قَوْلُهُ – تَعَالَى- : ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ**﴾ لَا تُخَاصِمُوهُمْ، ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أَيْ: بِالْقُرْآنِ وَالدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ بِآيَاتِهِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى حُجَجِه... [23] ، وقال مكي بن أبي طالب: "أي: لا تجادلوا أيها المؤمنون اليهود والنصارى إلاّ بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله والتنبيه على حججه"[24].

وقال الخطيب الشربيني: "﴿وجادلهم﴾ ، أي : وجادل معانديهم ﴿بالتي﴾ أي: بالمجادلة التي ﴿هي أحسن﴾ كالدعاء إلى الله تعالى بآياته والدعاء إلى حججه بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير غلظ ولا تعسف فإن ذلك أنفع في تسكين لهبهم، وتبيين شبههم، وقيل: المراد بالحكمة القرآن، أي: ادعهم بالقرآن والموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة، وفي الأمر بالمجادلة التي هي أحسن الإعراض عن أذاهم وعدم التقصير في تبليغ الرسالة والدعاء إلى الحق"[25].

يرتقي السعدي بقاعدة الإنصاف المعرفي إلى أسمى صورها بوجوب قبول الحق من الخصم مهما كان معتقده، بينما أضاف البغوي ومكي بن أبي طالب والخطيب الشربيني أبعاداً منهجية وأدواتية لم يذكرها السعدي؛ حيث حددوا "القرآن وآياته" كمرجعية أساسية للحجة، وفصل الشربيني في الغرض المنهجي من الرفق واللين، وهو "تسكين لهب المعاند وتفكيك شبهاته"، محولاً الجدال من مجرد صراع فكري إلى وسيلة دعوية غايتها تبليغ الرسالة بالحكمة لا بالتعسف، مما جعل كلامهم مكملاً لقاعدة السعدي من حيث الوسيلة والتطبيق.

4. النص الرابع ــ قاعدة البناء على المتفق عليه (تفسير الآية 46)

قال السعدي في تفسير الآية:﴿ **وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ**﴾: "ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم... ولا تكن مناظرتكم إياهم على وجه يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية أو بأحد من الرسل كما يفعله الجاهل"[26]. قال الزمخشري: " بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ بالخصلة التي هي أحسن: وهي مقابلة الخشونة باللين، والغضب بالكظم. والسورة بالأناة، كما قال. ادْفَعْ

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"[27] ، وقال البيضاوي: "وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلا بالخصلة التي هي أحسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح"[28].

يتفق المفسرون على أن المجادلة بالتي هي أحسن ترتكز على دعامتين أساسيتين؛ الأولى التي أشار لها السعدي وتتعلق بـ "أرضية الحوار المشتركة"، حيث أكد أن الانطلاق من الإيمان بالكتب الإلهية والرسل كافة هو الضمانة لعدم الوقوع في القدح أو الجهل، أما الثانية، فتتمثل في "آداب السلوك التواصلي" التي فصّل فيها الزمخشري والبيضاوي؛ إذ ركز كلاهما على أن "التي هي أحسن" هي "خصلة أخلاقية" تقتضي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم، وهو ما يكمل رؤية السعدي؛ فبينما يحدد السعدي المنطلق العقدي السليم للمناظرة، يرسم الزمخشري والبيضاوي السمت النفسي واللفظي الذي يجب أن يغلف هذا الحوار، لتتحول المجادلة من صراع مادي إلى دعوة إصلاحية تعتمد النصح لا المشاغبة، والأناة لا التسرع.

5. النص الخامس ـ ضابط الجدوى من الحوار (تفسير الآية 46):

قال السعدي في تفسير الآية: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: "إلا من ظلم منهم... ظهر من قصده وحاله أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله لأن المقصود منها ضائع"[29]. وقال ابن عطية: "اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية، فقال ابن زيد: معناها «لا تجادلوا» من آمن بمحمد من أَهْلَ الْكِتابِ فكأنه قال أَهْلَ الْكِتابِ المؤمنين إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أي الموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك، وقوله تعالى على هذا التأويل إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا يريد به من بقي على كفره منهم، كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم، والآية على هذا محكمة غير منسوخة، وقال مجاهد: المراد ب أَهْلَ الْكِتابِ اليهود والنصارى الباقون على دينهم أمر الله تعالى المؤمنين ألا يجادلوهم إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ من الدعاء إلى الله تعالى والتنبيه على آياته، وأن يزال معهم عن طريق الإغلاظ والمخاشنة، وقوله على هذا التأويل إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا معناه ظلموكم وإلا فكلهم ظلمة على الإطلاق يراد بهم من لم يؤد جزية..."[30]

وقال البيضاوي: "إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ بالإفراط في الاعتداء والعناد أو بإثبات الولد وقولهم يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ أو بنبذ العهد ومنع الجزية[31].

يتكامل طرح المفسرين في تحديد استثناءات الحوار اللين؛ إذ يربط السعدي سقوط "التي هي أحسن" بفساد القصد والمشاغبة التي تجعل الحوار عبثاً، بينما يضيف ابن عطية البُعد التاريخي والسياسي المتمثل في الغدر ونكث العهود، ويؤكد البيضاوي على

أن الاعتداء الصريح ومخالفة الالتزامات (كنبذ العهد) هي ما يُخرج الطرف الآخر من دائرة الرفق إلى دائرة الحزم، مما يجعل "الظلم" معياراً سلوكياً وسياسياً يحدد طبيعة الأسلوب الدبلوماسي في الرد.

المطلب الثالث ــ أدوات الإقناع وغايات الحوار:

6. النص السادس ـ استخدام الأمثال كوسيلة حوارية (تفسير الآية 43):

قال السعدي في تفسير الآية: ﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾: "وتلك الأمثال نضربها للناس... لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة فيتضح المعنى المطلوب بسببها"[32]. قال الطبري: قول تعالى ذكره: وهذه الأمثال، وهي الأشباه والنظائر (نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ) يقول: نمثلها ونشبهها ونحتجّ بها للناس... (وَمَا يَعْقِلُهَا إلا الْعَالِمُونَ) يقول تعالى ذكره: وما يعقل أنه أصيب بهذه الأمثال التي نضربها للناس منهم الصواب والحقّ فيما ضربت له مثلا (إلا الْعَالِمُونَ) بالله وآياته[33]. وقال الزمخشري: "كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون إنّ ربّ محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، فلذلك قال وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ أى لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا هم، لأنّ الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصوّرها للأفهام، كما صوّر هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد"[34]

تتبلور رؤية المفسرين حول منهجية "التمثيل" كأداة تواصلية فائقة التأثير؛ إذ يضع السعدي يدَهُ على وظيفتها التعليمية في تقريب "المعقول بالمحسوس" لتجلي المعنى، في حين يُبرز الطبري قيمتها كحججٍ وبراهين عقلية (أشباه ونظائر) يُحتج بها لبيان وجه الصواب، بينما يذهب الزمخشري إلى أبعد من ذلك بوصفها وسيلةً لبروز "المعاني المحتجبة" وتصويرها للأفهام في مواجهة تشكيك الجاهلين، مما يجعل من المَثل قنطرةً معرفية لا يَعبرُها إلا "العالمون" بمقاصدها.

7. النص السابع ـ توصيف الحوار كجهاد علمي (تفسير الآية 69)

قال السعدي في تفسير الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: "إن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله... وهو الجهاد بالقول واللسان للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق"[35]. قال الخطيب الشربيني: "﴿والذين جاهدوا﴾ أي: أوقعوا الجهاد بغاية جهدهم على ما دلّ عليه بالمفاعلة ﴿فينا﴾ أي: بسبب حقنا ومراقبتنا خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار وغيرهم من كل ما ينبغي الجهاد فيه بالقول والفعل في الشدّة والرخاء ومخالفة الهوى عند هجوم الفتن وشدائد

المحن مستحضرين لعظمتنا"[36] ، وقال صديق حسن خان: "(والذين جاهدوا) أي: أوقعوا الجهاد بغاية جهدهم، على ما دل عليه بالمفاعلة (فينا) أي: في شأن الله لطلب مرضاته، ورجاء ما عنده من الخير وقيل: في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا، ومراقبتنا، خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار، وغيرهم من كل ما ينبغي الجهاد فيه، بالقول والفعل، في الشدة والرخاء، ومخالفة الهوى عند هجوم الفتن، وشدائد المحن مستحضرين لعظمتنا"[37].

يتسع مفهوم "الجهاد" في ضوء تفسير الآية الكريمة ليشمل أبعاداً فكرية وسلوكية تتجاوز المعنى الضيق؛ حيث يؤصل السعدي لكون طلب العلم الشرعي والمحاجة باللسان للرد على المخالفين وجهاً من وجوه الجهاد في سبيل الله، وهو ما يعضده الخطيب الشربيني بتأكيده أن المجاهدة تعني بذل غاية الجهد في الطاعات ومخالفة الهوى بالقول والفعل في السراء والضراء، وهو ذات المنحى الذي سلكه صديق حسن خان بتعريف الجهاد كإخلاصٍ كليّ في طلب مرضاة الله ومراقبته، لاسيما عند هجوم الفتن والمحن، ليتشكل من مجموع آرائهم مفهوم شامل للجهاد بوصفه استنفاراً للقوى الفكرية والروحية والعملية لإحقاق الحق.

الخاتمة:

فقد كشفت هذه الدراسة عن المنهج الحواري الفريد في سورة العنكبوت من خلال منظار الشيخ السعدي، وفي ختام هذا البحث نوجز أهم النتائج والتوصيات فيما يلي:

أولاً- النتائج:

1. أثبت البحث أن أدب الحوار عند السعدي ليس مجرد شكليات، بل هو منظومة متكاملة تبدأ من "النية" وتمر بـ "الخلق" لتصل إلى "الإنصاف المعرفي.

2. بينت الدراسة أن القاعدة الأصلية في الحوار هي "التي هي أحسن"، لكنها قاعدة واعية تفرق بين (المسترشد) الذي يُقابل باللين، و(المعاند الظالم) الذي قد يُتخذ معه مسار حزيم، مما يؤكد واقعية المنهج القرآني.

3. توصلت الدراسة إلى أن السعدي وضع قيوداً صارمة للمجالَدة لضمان فاعليتها، وأهمها: أن يكون القصد بيان الحق لا المغالبة وحب العلو، والتوقف عن الجدال إذا ظهر أن الخصم شاغبٌ لا يريد الحق، لأن المقصود منه حينئذٍ يكون ضائعاً، والبناء على الأصول المتفق عليها، وعدم القدح في الثوابت والكتب الإلهية والرسل أثناء المحاجة، وضرورة اقتران الإخلاص بالعلم، حذرًا من تضرر الحق بضعف المحاور.

4. برزت "الأمثال" في سورة العنكبوت كأداة حوارية كبرى تقرب المعقول بالمحسوس، مما يجعل الحوار وسيلة تعليمية لا مجرد ممارسة جدلية.
5. توصل البحث إلى أن السعدي يرفع رتبة الحوار القائم على العلم ورد الشبهات إلى رتبة "الجهاد في سبيل الله"، مما يعطي المحاور المسلم دافعاً تعبدياً للإتقان والرسوخ العلمي.

ثانياً-التوصيات:

1. توصي الدراسة بتبني القواعد التي استخلصها السعدي (مثل قاعدة الإنصاف وبناء الحوار على المتفق عليه) في مناهج التربية الحوارية المعاصرة لترشيد لغة الخطاب الديني.
2. تدعو الدراسة الباحثين إلى استخراج "آداب الحوار" من السور القرآنية الأخرى التي يغلب عليها طابع المحاججة، وتطبيق المنهج المقارن بين المفسرين لإثراء المكتبة القرآنية.
3. توصي الدراسة بتبني هذه القيود (خاصة قيد الجدوى والإنصاف) في الحوارات الفكرية المعاصرة لترشيد الجهد ومنع النزاعات العقيمة.
4. ضرورة التأكيد على شرط "العلم" قبل الدخول في المحاججات، حمايةً للدين من جهل المحاورين وحمايةً للمحاور نفسه من السقوط في الشبهات.

بيان تضارب المصالح

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــــش:

(1) معجم المفسرين، عادل نويهض، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1988، 279/1، وصفحات من حياة علامة القصيم عبد الرحمن بن ناصر السعدي، عبد الله الطيار، ط1، دار العاصمة، الرياض، 1414هـ، ص 15-17.
(2) الفكر التربوي عند الشيخ عبد الرحمن السعدي، عبد العزيز الرشودي، مكتبة الرشد، الرياض، 1420هـ، ص 112-121، علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله آل بسام، ط2، دار العاصمة، الرياض، 1419هـ، 222/3.
(3) الفكر التربوي عند الشيخ عبد الرحمن السعدي، عبد العزيز الرشودي، (ص 129-132)؛ صفحات من حياة علامة القصيم، عبد الله الطيار، (ص 18).
(4) الفكر التربوي عند الشيخ عبد الرحمن السعدي، عبد العزيز الرشودي، (ص 108)؛ الأجوبة السعدية عن المسائل الكويتية، وليد المنيس، (ص 14).
(5) صفحات من حياة علامة القصيم، عبد الله الطيار، ص 97-98، مشاهير علماء نجد، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ط1، دار اليمامة، الرياض، 1394هـ، ص 256.
(6) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون 3/ 222.
(7) انظر: مشاهير علماء نجد 256.
(8) انظر: صفحات من حياة علامة القصيم د. عبد الله الطيار 97.
(9) انظر: صفحات من حياة علامة القصيم د. عبد الله الطيار 98.
(10) قائمة أعمال عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وليد المنيس، ص 14، حياة الشيخ عبد الرحمن السعدي في سطور، أحمد القرعاوي، ط1، دار المسلم، الرياض، 1412هـ، ص 32.
(11) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ، 150/1، التفسير والمفسرون (أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث)، فضل حسن عباس، ط1، دار النفائس، عمان، 1437هـ، 589/2.
(12) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ، ص 18، التفسير والمفسرون، فضل حسن عباس، 589/2.
(13) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، (ص 27)؛ التفسير والمفسرون، فضل حسن عباس، (2/ 590).
(14) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، (ص 369)؛ التفسير والمفسرون، فضل حسن عباس، (2/ 590-591).
(15) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، (مقدمة المحقق ومواضع متفرقة من التفسير).
(16) تفسير السعدي 632/1.
(17) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، 40/20.
(18) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد القرطبي، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ، 350/13.
(19) تفسير السعدي 632/1.
(20) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ط1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1404هـ، 450/14.

(21) تفسير القرآن الكريم (سورة الشورى)، محمد بن صالح العثيمين، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام، 1428هـ، 269/1.
(22) تفسير السعدي 632/1.
(23) تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي، ط4، دار طيبة، الرياض، 1417هـ، 247/6.
(24) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب القيسي، ط1، مجموعة بحوث كراسي الأبحاث بجامعة الشارقة، الشارقة، 1429هـ، 5635/9.
(25) الهداية الى بلوغ النهاية 5635/9.
(26) تفسير السعدي 632/1.
(27) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري، ط1، دار الريان للتراث، القاهرة، 1407هـ، 3/
(28) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ناصر الدين البيضاوي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ، 196/4.
(29) تفسير السعدي 632/1.
(30) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، عبد الحق بن عطية الأندلسي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، 320/4.
(31) تفسير البيضاوي 196/4.
(32) تفسير السعدي 631/1.
(33) تفسير الطبري 40/20
(34) تفسير الكشاف 455/3
(35) تفسير السعدي 635/1.
(36) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين الخطيب الشربيني، ط1، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، 1285هـ، 155/3.
(37) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان القنوجي، المكتبة العصرية، صيدا -بيروت، 1412هـ، 219/10.